

نفسه أوروبياً على الرغم من أن انتماءه للثقافة الأسبانية يجعله ملتصقاً بشكل خاص بالتفاعل الثقافي العربي - الأوروبي في أسبانيا. ومما كتبه بورخيس حول هذا التفاعل قصة قصيرة حول الفيلسوف العربي الأندلسي ابن رشد الذي ترجم أرسطو ولم تمكنه ثقافته العربية-الإسلامية، كما يقول بورخيس، من إدراك المعنى الصحيح للمصطلحات الأدبية الأرسطية في كتاب *البوطيقا*.

بيد أن السجن الثقافي الذي يرسمه بورخيس لم يكن له أي تأثير، من الناحية التاريخية، في حالات كثيرة لأفراد جربوا العبور ذهاباً وإياباً عبر الحدود الثقافية للهوية. وكما سبقت الإشارة، فإن الحسن الفاسي أو ليو الأفريقي كان من أولئك، كما اتضح لوليم بيتس، وكذلك هي حال البدوي الذي تخيله وردزورث على النمط الأسباني في قصيدة المقدمة. هذا بالإضافة إلى سيدي حامد بننجلي «مؤلف» بون كيهوته، وغيره من شخوص رواية سرفانتيس. وسأبدأ هذه الملاحظات بالتوقف عند توظيف بيتس لليو الأفريقي لأن أسبقية هذا الأخير تاريخياً وحدثة بيتس - بالقياس إلى سرفانتيس ووردزورث - تخلق وضعاً فريداً نتأمل فيه جانباً من بدايات التفاعل التاريخي الأدبي وما انتهى إليه ضمن الإطار الأندلسي.

- ب -

بالنسبة لبيتس كان المدهش في شخصية الحسن الفاسي هو أنه استطاع أن يكون ليو الأفريقي أيضاً، أي أن يوحد في ذاته شخصيتي المسلم والمسيحي، الشرقي والغربي أو أن يعبر من إحدى تلك الشخصيتين إلى الأخرى على ما بينهما من تضاد. فقد نظر الشاعر الأيرلندي إلى ذلك المزيج في إطار الجدلية التاريخية والثقافية التي استمدها من الفلسفة الرومانتيكية، كما صاغها هيغل ثم تبلورت في شعر وليم بليك وبعده في الدراسات التاريخية لأوزوالد شبنغلر. ومن ذلك المنظور الرومانتيكي تجبو حركة التاريخ الحضاري عبارة عن صراع قوى متضادة، لأنه كما قال بليك «لا تقدم دون تضاد». ولأن بيتس شارك شبنغلر بعض تشاؤمه نحو مستقبل الحضارة الغربية كحضارة آيلة للسقوط، فقد رأى الدور العربي الإسلامي حاسماً في تحديد مستقبل